S.D

بطعم العسل

نوفيلا



صابرين الديب

بطعم العسل

نوفيلا

جروب حلم-هن

ولنا مع الحرف حلم..

للانضمام للحلم

جروب حلم-هن

بقلم

صابرين الديب

تصميم غلاف وداخلي

صابرين الديب

مقدمة

ماذا إن كانت الأنوثة نقمة!!..

بل منذ متى هي نعمة؟!..

فهي إما أن تجعلُكِ مطمعًا لشهوة رجال.. أو مصدرًا لضعف يجيدون استغلاله..

ولأن أنوثتها نقمتها.. بل انكسارها الأول ودمغُ قلبها ببداية الألم..

إخفاؤها كان الحل الأمثل..

كلا.. لا تفهموها بطريقة خاطئة..

هي مصدر فخرها واعتزازها، لن تتنكر لها، بل فقط ستضمرها تحت السطح..

سطح خشن، حاد، جامد، كدرع أشواك يحيط بزهرة يانعة..

حتى يأتي من يستحق..

فينقب عنها..

وينال القلب..

الفصل الأول

"وأنا قبلت زواجها"

قالها بروتينية كأنه يلقي خطبة رددها لنفسه مئات المرات أمام مرآته، لم يرفع عينيه نحوها إلا لحظة واحدة بعدها، تكرم ببسمة طفيفة داعبت شفتيه، وابتعد بنظراته ثانيًا..

تقبلت التهاني، عناق البعض، مداعبة الأخوة، ضمة الأب، وحنان زوجته.. واختتمت بقبلته الباردة فوق جبينها وهمسة لم تستشعر فيها أي نبض:

- مبروك.

والحياء المدعى هو الأفضل حينما نفقد الإدراك:

- الله يبارك فيك.

ابتسامة أخرى، ومدعوون يطوفون حولها.. في النهاية جذبتها زوجة أبيها، عانقت بنفسها ذراعها بذراع أخيها والذي أصبح الآن زوجها، ودفعتهما دفعًا بمرح أمومي رقيق:

- يلا يا معاذ، خد عروستك واتعشوا برا.. الحجز زي ما فهمتك.

وغمزة شقية احمرت لها وجنتا العروس، في حين كان العريس غامضًا لا ترى فوق ملامحه انفعالًا محددًا، اكتفى بهزة رأس وتحرك ببطء مع زوجته المصون تنفيذًا لخطة أخته التي لا تعنيه في شيء.

******

وماذ يعني أنها "تزوجت!!"..

وضع الكلمة بين علامتي تنصيص وربما حتى تلوينها بالأحمر الدموي لن يغير شيئًا، أو على الأقل لم يغير حتى الآن..

كل ما فعله أن قاد السيارة بهدوء، هادئ هو في كل شيء حتى سرعة سيارته التي كادت تصيبها بأمراض الضغط والسكر والهيستيريا..

تلقي نحوه بنظرة جانبية بين كل فينة وأخرى، تتأمل جانب وجهه حاد الملامح ذو الذقن الدائرية المشذبة، رموشه السوداء الكثيفة تغطيان عينيه فتمنحهما هالة لغز محير يثير فيها الفضول لاستكشاف ما خلف نظراته وداخل بؤبؤيه الذين يراقبان الطريق دون سواه.

كادت تزفر بضيق، نعم تدري بما فعلته بنفسها.. كيف تبدو!!.. كيف لا تهتم بمعالم أنوثتها التي كانت الطبيعة كريمة في عطائها لها لأقصى حد!!..

هو لا يرى؛ وكرجل طبيعي وحمار كبير.. لا يهتم بما لم تقع عليه عيناه ولم يتنبه مخه العبقري.. أنه مهما حدث، ومهما اخشوشنت، ومهما قررت دفن الفتاة بداخلها.. فبجواره أنثى، تشتاق لبعض الدلال، وتستحقه أيضًا.

ألم يكن هذا هو أساس اختياره؟!..

تؤنب نفسها.. وتعود فتصب عليه لعناتها، والصمت هو السيد والحاكم وهما لأمره خضوع، وصلا للمكان، يفتح لها باب السيارة برقي، عشاء شهي، ابتلعته كنبتة حادة الأشواك..

وسبته ثانية أو ربما للمرة المائة بداخلها.. لقد أهان فيها الأنثى التي احتفظت بها لأجله وانتهى..

ستنتقم، وحينها سترى من تزوجت حقيقة سيد "معاذ"؟!..

******

ترتدي شيئًا قصيرًا لا يمكن أن يطلق عليه منامة..

توليه ظهرها وتتمايل بغنج بدا غريبًا على تلك التي قرن اسمه باسمها اليوم..

هذه أنثى، أنثى حقيقية ذات أبعاد ثلاثية وتضاريس لا يعلم كيف لم تمر عليها عيناه من قبل!!..

بحرير يحتضن حناياها بإغواء مرهق للقلب.. تلتفت نصف التفاتة تلعق ما بإصبعها بتلذذ ازدرد له لعابه، تأملها من ركنه المظلم وتعالى بداخله هتاف لا يعلم أهو منزعج.. أم منبهر ومسرور:

- دي طلعت صاروخ!!..

دقق النظر.. تمايلها الطفيف على لحن ما تبثه سماعة صغيرة بأذنيها، تمسك بوعاءٍ زجاجي لا يتبين محتواه جيدًا، تمد إصبعها فيه ثم تلعقه مرارًا وتكرارًا حتى لم تعد به قدرة على التحمل أكثر، أضاء المزيد من الأنوار فشهقت بفزع، دلف للمطبخ الصغير متظاهرًا بالدهشة:

- رهف!!

ولم يمنع عينيه عنها، لمَ يفعل وهي زوجته؟!..

ظهر على وجهها الارتباك لثانية.. لها بشرة ناعمة شفافة تشبه بشرة الأطفال، وخصلات قصيرة صبيانية بلون آخر لحظات الشفق، لا يعلم لمَ يدقق فيها هذه المرة بتمهل؟!.. يستكشف ما فاته والذي بمسمى أو آخر هو ملكه..

وفي مواجهة عينيه كان لابد من هروب..

وهو أحمق لو سمح لها..

حسنًا.. هي لم تتزين، على الأقل بوضوح كمن سبقتها في حياته المعقدة، منامتها قصيرة للغاية تظهر طول ساقيها وسترتها تحتضن جذعها بأنوثة لم تطف بأشد أحلامه خصوبة عن زواجه منها.. ذراعيها عاريتين.. وهي متصلبة تحاول التحرك بوعاء من العسل أصبح يراه الآن..

اقترب بتباطؤ متعمد فسألته بقوة اعتادتها وادعتها في هذه اللحظة:

- أنت لسه صاحي ليه لحد دلوقتِ؟!

حاصرها في المكان الضيق وسد منفذ الفرار بجسده، ابتسامته كانت لعوب وهمسته ماكرة تداعب الأنثى التي اكتشفها للتو.. وياالجمال الصدفة فهي زوجته:

- محظوظ..

عقدت حاجبيها بحيرة فنظر للوعاء بمشاكسة:

- حد ياكل عسل كده؟!

توترت أكثر وأجابت بعفوية:

- أنا بحبه.

اقترب والفاصل بينهما كفها التي تحمل ما تحب:

- وأنا كمان..

وأمسك بالكف الأخرى التي كانت تأكل بها، ضم أصابعها عدا السبابة، غمسها بالعسل ثم وضعها بين شفتيه يلعقها باستمتاع وازى تلذذه بحمرة وجنتيها الخائنتين، همهم بلؤم:

- إمممممم.. لذيذ.

سحبت إصبعها من قبضته التي تشبثت بيدها، بل وجذب الوعاء ووضعه على طاولة مجاورة ماحيًا المسافة بينهما متلذذًا هذه المرة بطعم العسل فوق شفتيها.. وغابت في عالمه رغم كل الخطط التي رسمها عقلها من قبل.

ثوان تاهت فيها وغرق هو.. ثوان لم تطل حتى استفاقت لموقفها فدفعته عنها بهتاف غاضب مرتجف النبرة:

- أنت بتعمل إيه!!.. ابعد.

وتتمالك نفسها، لن تضعف الآن فدرسه على وشك البدء فحسب.. درسًا لم يكن ليتخيله!!.. لكنه لم يكن معها، بل

أفقده الرشد مذاق العسل وعاد لينهل منه وحينها كادت تصفعه:

- معاذ.. ابعد لو سمحت، إيه اللي بتعمله ده؟!

توقف على بعد لا يذكر، غمرها بين جفنيه بنظرة لم ترها من قبل وكان أن شعرت بسخط أكبر.. المختلف الذي تزوج الصبيانية يسعى بها لخلاصه من عالم الإناث المبهرج.. عبثت به أنوثتها الآن فأصبح يبحث عنها ويتيه فيها من مجرد قبلة!!..

دفعته بخشونة ومدت أناملها تتخلل بها خصلاتها بعنف حانق، وهو استعاد الوعي المفقود بهمس أجش:

- أنتِ مراتي..

ولم تكن تريد قولها، بل لم تفكر بها حتى لكنها نطقتها بضيق رغمًا عنها:

- دلوقتِ افتكرت؟!..

وانتبهت فهربت تواري خجلًا.. وتستعيد ذكرى.

******

الأحمق الملعون المعقد..

وصف بسيط ظلت تردده لنصف ساعة.. أو لو شئنا الدقة خمس وأربعون دقيقة.. ذلك الذي نبض له قلبها فقررت أن يكون هو مالك تلك المرأة المختبئة خلف مظهرها ذكوري الطابع.. الذي وافقت عليه بصعوبة رغم إعجابها به؛ ذلك المغرور..

أعجبه ما رأى.. وأضاعه ما ذاق..

حسنًا..

الجولة الأولى..

واحد "رهف".. صفر "معاذ".. ولتذهب للجحيم يا متغطرس فقد نلت منك..

اللعين.. تزوجها لتصرفاتها الخشنة وعدم اهتمامها بأنوثتها، وبعد أول ملمح وقعت عليه عيناه من تلك الأنوثة قرر أن يقترب ويتملك وهو كل ما قدمه بعد توقيعه على وثيقة الزواج.. قبلة على الجبين.

توقير واحترام.. ياله من نبيل!!..

وعندما خرجا سويًا، ساعتان في السيارة وحدهما، ومطعم راق في ركن منعزل ثم لم يكلف نفسه حتى عناء ضم أناملها بقبضته أو منح يدها قبلة..

"الجلف"

وصف أكثر بساطة يستحقه، بل ومزيد.. يفتح لها باب السيارة، يسحب لها مقعدها، يناولها قائمة الطعام ويترك لها بداية الاختيار، يعاملها كـ"جنتلمان" حقيقي.. لكنه لم يتودد إليها كعروس!!

أو ربما لم يرها كأنثى تجذب فيه الرجل، بل مجرد اختيار عقلاني منطقي تنتهي به معادلة سبق وأن فشل فيها من قبل عندما جمع نفسه مع المرأة الخاطئة.

وبعقدته منحها سببًا كي تنتقم.. لم يكفه أن يؤلمها بكلماته لأخته عنها كأنما يصف صديقه ويتحدث عن شارب ناقص.. بل وهي زوجته ينظر إليها من بعيد ثم يأمر نفسه بعدم اللمس.. أو الاقتراب والتصوير، وتسبه ثانية وتقرر الانتقام.

جنَّ الليل.. الكل نيام في هذا الوقت وهي تعلم، كما تعرف طقسه اليومي وكوب الحليب البارد الذي يتجرعه في المطبخ قبل النوم وبعد منتصف الليل...

منامة حريرية وردية تعكس لون بشرتها –وأخيرًا وجدت لمشتروات زوجة أبيها فائدة– لمسة طفيفة من ملمع الشفاه، عطر أنثوي أهدتها إياه صديقتها الوردية، حافية القدمين وتلعق العسل حال دخوله للمكان.

وبينج بانج..

رصاصة قاتلة ونظرة انبهار وهمسة أقسمت أنه نطقها بداخله يصفها به..

ثم تزيد في الانتقام وتتلذذ بما تفعل، بل تئن استمتاعًا به وفي هذا هي لا تتظاهر.. وهو يراقب وأنفاسه تصلها بثقل واضح..

نعم سيد "معاذ".. أنا امرأة جميلة وأثق بجمالي، وخمن ما يخبئه لك القدر؟!..

ثم شعرت به يقترب وانتظرت.. ضوء وشهقة مفتعلة والتفاتة بفزع ثم خجل.. الوقح كان يتأملها بجرأة بدت غريبة عليه بالنسبة إليها.. حديث قصير ليزيد هو من جرعة وقاحته، يقصر المسافة أو بالأحرى يلغيها.. ويتذوق عسلها فوق إصبعها ثم يجرب المذاق مقتحمًا عذرية شفتيها..

وهنا وقفة!!..

تبًا له وعليه مائة ألف لعنة.. لقد قبَّلها، بكل بساطة فعلها.. ولم لا!!.. لقد كانت له زوجة، لكن ماذا عنها هي؟!.. المبتدئة في عالم الحميمية وخطوتها الأولى كانت مع قاهر قلبها الذي هفا إليه..

ووقفة أخرى!!..

لقد ضاع في دفئها، تاه في حنايا أنثى اكتشفها للتو.. واللعين رغب في المزيد..

بالطبع، ذكر ككل آخر.. وهي غنيمته بعقد زواج، لكن هيهات.. ستريه، بل ستجعل أيامه أشد سوادًا من خصلاته الحالكة، وسيندم على يوم اختارها فيه..

والسبب الوحيد كونها وعلى حد قوله.. "مسترجلة".

الفصل الثاني

-قبل عشرين عامًا-

"أنا قررت أسافر يا إبراهيم"

قراره لم يكن لحظيًا، بل اتخذه بعد تفكير طويل وتمحيص حتى يصل لتلك النهاية التي سيتخلى فيها عن الوطن، الأهل.. والابنة..

- ورهف.. نسيتها يا كامل!!

ارتسم الشجن على وجهه، كيف ينساها؟!.. بل كيف ينسى من أُقتطعت منها وحملت رقة ملامحها؟!.. أخفى عينيه وتحشرجت نبرته:

- رهف أمانها وراحتها معاكم أنتم، أنا.. أنا..

تحشرج صوته وانعقد لسانه، بعد رحيل الحبيبة فقدت الحياة مذاقها حتى لو احتوت منها جزءً، لكنه ليس أهلًا ليعيش مع كل ذكرى تمثلها هذه الطفلة له..

جبان هو.. موجوع، خائن للعهد والصغيرة المتعلقة به.. نعم والكثير من الأشياء لكن أيها لا يمثل ألمه، ولا يفهم أنين قلبه، لم يكمل والأخ الأكبر يربت على كتفه، يحنو ويتفهم كعادته:

- أنا عارف.. بس هي مالهاش ذنب، حرام تحرمها منك زي ما اتحرمت من أمها!!

رفع إليه عينين منكسرتين، ابتسم بضعف خانع:

- خليها معاك يا إبراهيم.. هتعوضها عني وسميرة هتعوضها عن...

وعاندته الحروف ثانية ترفض نطق اسمها عبر شفتيه، عاد يخفض نظراته وينهي الموقف بقرار حاسم حتى لو كان بنبرة لاهثة متقطعة:

- أنت أبوها من دلوقتِ يا إبراهيم.. خلي بالك منها.

ونهض، يقف، يعلن الانسحاب بجبن، يصعد لغرفتها.. صغيرته الناعمة ذات العامين، يقبل جبينها ووجنتها، ويمنح بشرتها دمعة جفت فوقها تدلل على حزنه وتثبت ضعفه.. همس لها:

- سامحيني يا رهف.. مش قادر أقعد في البلد، مش قادر أكون معاكِ وأنتِ حتة منها.. سامحيني.

وأسبوع آخر تلاه الرحيل، غربة في بلاد بعيدة، وهجرة اعتبرها نهائية..

ثم توالت الأشهر، واحد وراءه ثان وثالث حتى أتمت العشر بعدها أرسل برقية لأخيه باختصار متعجل:

"أنا اتجوزت يا إبراهيم"

وتبًا لكل عاشق ادعى عشق واحدة.. وتناساها بأخرى..

****

ربما كانت مجرد طفلة لا تعي الكثير ولا تفهم ما هو أكثر.. تراضيها بلعبة، وتضحكها بدغدغة أو قطعة حلوى.. لكن فراق الأحبة يترك ندبة قد لا يراها من هم حولك.. فقط ذلك لا ينفي وجودها في أعماق الروح المشتاقة..

استيقظت باكية يوم رحيله، الوجنات مبتلة والعيون ناعسة.. تسأل:

"أين أبي؟!"..

والجواب مكرر حد الملل.. موجع حد الموت..

سافر وقريبًا سيعود.. لا تحزني يا صغيرة..

ولم تحزن، بل اكتفت بقالبٍ ضخمٍ من الشيكولاتة ومثلجات الفراولة بالعسل مع لعبتها الأثيرة.. حتى حان وقت دخولها الفراش!!..

عادت الدموع تسأل عن الغائب وقبلة المساء.. ووداع حنون لعالم أحلام.. لا يشمله هذه المرة..

****

أصبح لها أمًّا.. أبًا آخر.. وأخوة صبية يتشاجران طوال النهار، يتنافسان على حملها ومداعبتها، وهي المدللة الضاحكة.. والمحبة..

لم تتخط عامها العاشر بعد، وأصبحت تحبه بكل براءة الطفولة داخلها، بتعلق رقيق مضحك أكثر منه واقعي.. طفلة هي؛ تشبه الدمية في الكثير من الأمور..

أثواب بناتية أنيقة، زينة خصلاتها البنية المحمرة بطولها الذي يصل حتى نهاية ظهرها، نعومة بشرتها الطفولية شبه الشفافة، وعيناها اللامعتان بشقاوة ودلال..

زوجة العم التي لم تحظ بفتاة لنفسها شملت الجميلة برعايتها، أبيها سافر وتزوج وأنجب.. وأصبحت الآن طفلتها هي، الزوجة الرقيقة الراقية الملزمة بعهدها من البيت للمنتجع الصحي لصالة الألعاب الرياضية وانتهاءً بمصفف الشعر وأقنعة الوجه الأسبوعية..

وحصلت على دميتها الخاصة، ابنة أخ زوجها، تسعى بتمكن وحثيثية لأن تجعلها نسخة مصغرة منها، بكل دلالها وأنوثتها واهتمامها بمظهرها..

والفتاة تحب ذلك كثيرًا..

هل هناك أفضل من التمتع بألعاب الكبار!!.. حتى وإن كان الخوض فيها مهلكًا!!..

تحولت اللعبة لرغبة.. وانقلبت الرغبة لفعل، والغرض لفت انتباه.. وليته يدرك!!

الثوب الأحمر، وحمرة الشفاه المتألقة بل وحذاء عالي الكعب.. بلون أحمر قانٍ.. وتتبختر فوق أرضية مصقولة لتسقط بين أحضانه..

يضحك منها وتبكي فيداعب ويدلل ويعتذر ويهادي بحلوى وعسل..

فتسامح.. وتتجلجل ضحكاتها هي هذه المرة، ثم تحبه أكثر..

ابن العم الأكبر، صاحب النصيب الأعظم من قلبها، وراسم الابتسامة على شفتيها..

قد تكون صغيرة؛ لكنه يمثل بداخلها الكثير وحسب.. على عتبات مراهقة ربما.. وفقط هو من وسم القلب بوسمه ودون أن يدري أو يهتم..

وكيف يهتم أو يبالي وهو لا يرى سوى طفلة منمنمة الملامح، حتى لو كانت خصلاتها برية جامحة تطوف حوله كأشعة شمس غاربة دافئة!!..

كيف يدري.. وهي تنظر إليه بوله فيقابله بضحكة وقرصة وجنة ثم قبلة فوق الجبين وتهيم هي به أكثر ولا يعلم الأحمق أنها تترك في نفسها مردودًا مختلفًا وتلامس قلبها بحنو!!..

يعاملها كأخت صغرى، وتراه فارس الحلم..

لا ينقصه شيء بل به كل اكتمال، أما هي فينقصها ما لا يقل عن ثماني سنوات.. بعدها تصبح مليكته وهو مليكها!!..

تحبه بكل مشاعر الطفولة والأنوثة الوليدة.. وهو يرى حمراء صغيرة شقية يحملها فوق كتفيه ويلقي بها في المسبح ثم يقفز وراءها ويلاعبها حتى تنام فوق ذراعيه..

إحساس أمان، انتماء، ولعب حتى التعب.. وله هو.. مجرد أنه الأخ الأكبر..

ثم حان أوان الفراق، سيغادر المدينة راحلًا لأخرى.. دراسة يتممها، كرهتها لأنها ستبعده عنها.. وعشقتها عند موعد أول زيارة!!..

لقد عاد بحلة رسمية بيضاء، بوسامة خطفت أنفاسها، وخصلاته البنية الطويلة قصيرة للغاية لكنها منحته مظهرًا خشنًا وحشيًا جعلها تعشقه أكثر..

وارتمت بين ذراعيه تبكي..

يهدهد، يهتم، يشاغب، يراضي.. ويعد بوعود كثيرة لم يوفِ بأي منها لاحقًا..

****

وتمر سنوات أخرى.. وتكبر الصغيرة..

تخطو فوق عتبات الأنوثة، بل تتخطاها بكرم الطبيعة الحاتمي الذي خط خرائطه فوق جسدها، شبت الصغيرة عن طوق الطفولة وأكملت عامها الخامس عشر..

والوسيم الغائب في عامه الدراسي الأخير، يأتي كل زيارة ببزته الأنيقة، ابتسامة تذوب فيها، وعينيان.. آه منهما عيناه، نما فيهما شيء من قسوة تخيفها ولا تدري لها سببًا لكنها لن تبعدها عنه أبدًا.. بل أصبحت تعشقها كما تعشقه.

عاد بخبر ذبح القلب المغرم، وأدمى العيون بنزف الدموع..

عاد دون اكتراث بمن حبها أوضح من الشمس، وأكثر منها حرارة..

عاد ولم يدعي الغباء، بل أمامها فجر المفاجأة وسدد لكمة قاتلة خنق بها أنفاسها..

عاد الحازم الجديد، الصارم بقساوة.. المدرب على التجاهل بحرفية..

عاد من سهرت تبكي لأجل غيابه شوقًا..

عاد وهو عاشق.. ومعشوق!!

الفصل الثالث

من قال أن التمرد حق مشروع للصبية!!

الفتيات لسن خانعات لظروف مفروضة على طول الخط، خاصة عندما يكون القلب على المحك.. وغيره على وشك امتلاك مالكه بصك أبدي..

لذا بعض الجرأة وقليل من العناد، رشة طفيفة من الغيظ ونثرات من حب بريء..

ثم تكون الوصفة جاهزة للتفجير في وجه من أحبت واستخف هو بما منحت له من مشاعر.. فعاد يخبر عن أخرى، يصف بهاءها وحسنها، قلبها ورقتها.. نسبها وسعادته بها..

وحالها؛ منزوية باكية دون دموع.. منتحبة دون صوت.

****

الاستعدادات على قدم وساق للحفل الهام الذي سيقام الليلة..

تخرج الحبيب.. فتح الطريق أمامه لينال طموحه والذي يتضمن حبيبة أخرى بعيدة، ولا تشملها هي الصورة، هو على وشك تحقيق الحلم.. بعمل يحبه وفتاة تبادله حبًا بحب..

وهي في حالة حرب..

الأعصاب متوترة، القلب يخفق بجموح، والعقل مشتت يبحث عن خطة ملائمة..

هي جميلة وتعلم، وهو أحمق كعادته والآن أضافت له صفة العمى؛ كيف لا يراها؟!.. لمَ يحتفظ باعتقاده القديم أنها مجرد طفلة وهي مكتملة الأنوثة وبدرجة تعمي الأبصار..

خمسة عشر عامًا.. بقد ممشوق، معالم أنثوية بارزة فاقت سنها، خصلات طويلة للغاية بشكل حابس للأنفاس، وبشرة عاجية ناعمة تحسدها عليها الصديقات..

كيف لا يرى كل ذلك؟!.. ويتشبث بأخرى نحيفة، ضئيلة.. وتقدس الحياة الزوجية كإعلانات "مطلوب عروس"..

رسمت الخطة، وشاركت فيها العمة "سميرة" دون علمها، فهي في جميع الأحوال دميتها الأثيرة، مدللتها ومدللة العائلة، الفاتنة الصغيرة..

تزينت، ارتدت ثوبًا لا يكاد يصل لركبتيها بلون النبيذ، ناقض بشرتها بشدة فمنحها مظهرًا بريًا لا يلائم سنون عمرها القليلة، رفعت شعرها وتركت بعضه حرًا يغازل ظهرها شبه العاري وكتفيها الأملسين..

حذاء أنيق بكعب زادها طولًا، وزينة وجه كاملة حولتها لشبه امرأة..

وكانت أيقونة إغواء مكتملة بها لمسة براءة زادتها حرقًا للقلوب والأعين..

تحركت برقي هو سمتها متجهة نحو حديقة البيت المقام بها الحفل، ومع كل خطوة تتابعها نظرات جديدة.. بل تكاد تأكلها وتفصل منحنيات جسدها الملتف داخل الثوب الكاشف..

ولمحت هدفها.. هو..

اتجهت نحوه ببطء، خطوة وثانية مرتعدة توازيها، توازن جسدها بصعوبة وتخشى رد فعله.. لكنه حقها وهي لن تتنازل..

رد الفعل الأنسب هو الهجوم.. حتى تحصل على النصر..

نقرة رقيقة بسبابتها فوق كتفه، ابتسامة مرسومة تدربت عليها أمام مرآتها كثيرًا، ونداء هامس بصوت أبح مصطنع:

- نائل.

سمعت صوته الباسم وهو يستدير نحوها:

- رهف..

واكتملت الاستدارة صاحبها اتساع عينين، مرت نظراته بتمهل مثير فوق جسدها الماثل أمامه بأقل القليل من القماش يستره، بزينة مبالغ بها وحريق مشتعل فوق رأسها الناري صاحب لون الشفق، وانفجر وهو على حق:

- إيه اللي أنتِ عاملاه في نفسك ده!!

تراجعت مأخوذة..

هذا لأجلك يا غبي.. ماذا تظن؟!..

لكنه لم يمنحها أي فرصة، جذبها خلفه كثور هائج، تعثرت ولم يعبأ، نظر الناس بدهشة مذهولة ولم يبالي، نادته أمه من بعيد بصدمة ولم يكترث لجواب، دخل بها للمنزل وتعالى صوته الصارخ:

- أنتِ اتجننتِ يارهف!!.. إيه الفستان ده؟!

وجذب إحدى خصلاتها بعنف قاس:

- كام مرة قلت لك حافظي على نفسك وخلي بالك من لبسك؟!..

ومسح شفتيها القانيتين بإبهامه لدرجة آلمتها:

- وإيه وش البلياتشو ده؟!

ثم جذب مرفقها بقسوة يكمل وصلة صراخه الحاد:

- قسمًا بالله لو ما احترمتِ نفسك وطلعتِ لبستِ حاجة محترمة لأكون حابسك في البيت لا تشوفي حد ولا حد يشوفك..

ورغم فظاظة الكلمات، عنف التحركات، وألم الموقف.. نبض قلبها طربًا بغباء..

"هو يغار"..

ونقطة.

لقد أصابت الهدف، حتى لو نالت رد فعل بخلاف المتوقع..

لكن الاستسلام لم يكن من طباعها ذات يوم حتى وإن تحصلت على ما تتمنى في اعتقادها، لذلك بكت وصرخت في المقابل، عاندت برفض واتهمته بالتسلط عندما ظهرت والدته لاهثة كأنها كانت تركض، تتساءل بحدة عما فعله ويجيب بسباب وصوت عالٍ.. ثم يتمم حديثه بالكلمة القاتلة:

- إيه اللي أنتِ عاملاه فيها ده يا أمي؟!.. دي مجرد طفلة!!.. عامليها على أد سنها..

واستدار إليها بشراسة:

- اطلعي غيري هدومك أو ما أشوفش وشك تحت تاني النهاردة، كفاية الناس اللي قلعتك اللي أنتِ مش لابساه أصلًا..

عنفته الأم:

- نائل عيب الكلام ده.. ده مجرد فستان ولايق عليها، بعدين ما تتدخلش في اللي ما يخصكش..

واشتعلت عيناه بجمرات ظنت أن شرارات حريقها ستنالها حتمًا وهي تبكي صامتة خلف دفاع والدته الواه:

- ما يخصنيش!!.. ليه مش دي أختي ولا إيه؟!.. وكمان عيب؟!.. أنا اللي كلامي عيب ولا اللي كانوا بيعروها برا..

ونظر لها باحتقار من أعلاها لأخمص قدميها:

- من اللي هي مش لابساه..

ثم جذب نفس الخصلة ثانية:

- فوق يا رهف.. الحفلة بالنسبة لك؛ انتهت.

ومن باب العناد صرخت تسبه ثم ركضت لغرفتها وهي تسمع عراكه يتأجج من جديد مع أمه..

****

فوق فراشها تنصت لصوت الحفل، تبكي وعلى شفتيها ابتسامة حالمة..

لقد أصيبت بالجنون!!

جنون العشق، قلبها الفتيّ ذاب وانتهى الأمر.. رغم قسوته، رغم عنفه وفظاظة كلماته ولمساته؛ رغم عيناه التي مشطت جسدها باحتقار كنظرة أخيرة.. فهي سعيدة..

نظرته الأولى التي تأملتها لمحت فيها الإعجاب ولن يستطيع أن ينكر..

يصرخ بسخط وهياج.. وعنوان مشاعره هو الغيرة الفجة.. ولن يستطيع أن ينكر..

يأمرها بملازمة غرفتها، بل ويتشاجر مع والدته لأجلها ويغيظه أن ينظر إليها آخرون.. ولن يستطيع أن ينكر..

هو يحبها والغبي كما وسمته دومًا.. لا يفهم أو يستوعب بل يبحث عن أخرى لن تتسع لها مشاعره التي تملكتها هي.. فقط دفعة صغيرة وإثبات لا برهان يليه..

تغاضت عن كلمة طفلة.. عن صفة أخت..

وبررت له ولنفسها أنهما مجرد "كاموفلاج" لقلب ينبض لها؛ فقط يرفض الاعتراف..

بعد نهاية الحفل، سمعت خطواته الرتيبة في الحديقة قرب شرفة غرفتها، كأنه يروح ويجيء دون ملل أو كلل.. من خلف الزجاج لمحته وقررت المواجهة..

فالاعتراف هو الحل، والحرب هي المصير..

****

التفت عائدًا للمنزل بشرود عندما وجدها بمنامة وردية أمامه، منامة لا تستر الكثير ولا تترك أيضًا الكثير للخيال..

عقد حاجبيه وتساءل بغلظة:

- أنت لسه صاحية ليه لحد دلوقتِ؟

اقتربت خطوة فنهرها بعينيه ألا تتعداها لكنها في معركة انتوت فيها النصر:

- ممكن ما تزعلش مني!!

استرخى جبينه وتحولت العقدة لارتفاع حاجبين مندهش، هل تراجعت العنيدة الصغيرة عن موقفها أم أنه حلم فحسب!!.. رفع رأسه يواجه نظراتها المتوسلة:

- لا مش ممكن يا رهف، أنتِ غلطتِ ولازم تتعاقبي.. ولو زعلي بالنسبة لك عقاب كافي يبقى أنا هازود عليه خصام..

اقتربت خطوة أخرى دون أن ينتبه، ناشدته بعينيها ونبرتها الحزينة:

- أنا آسفة.. بجد آسفة، كنت فرحانة عشانك مش أكتر..

ولمعت دمعة بين الجفون لاستدرار عطف.. ربما لم تكن واقعية تمامًا لكنها كانت كافية ليلين قلبه:

- طيب خلاص.. خلاص، ما تعيطيش.. بس ما تعمليش كده تاني..

وتفاجأ بها وكاد يقع..

اندفاعة قوية تتعلق بعنقه، تحيطها بذراعيها بشدة ترفض الابتعاد، شلته الصدمة لثوان قبل أن تصله همستها حاملة دفء أنفاسها قرب أذنه:

- بحبك.. بحبك قوي..

وتضاعف الذهول وتمازج باستنكار، هذه الفتاة المجنونة!!..

فك ذراعيها بغلظة يصيح فيها محاولًا خفض صوته لكن غضبه المشتعل لم يساعد، يريد التأكد من مقصدها.. هل تقصدها كأخت أم أن أثر حرارتها حول جسده لا يعني سوى شيئًا واحدًا كما يظن!!:

- بتقولي إيه؟!

وفي عينيه لمحت الجحيم، سيطالها، يحرقها.. ويترك بقاياها رمادًا..

همست ثانية بتردد متأوه لاشتداد قبضتيه العنيف:

- بحبك..

ومن نظرة العين وارتجاف الشفاه فهم.. دفعها عنه، دفعة قاسية كادت تسقطها على ظهرها دونما اهتمام، تماسكت بصعوبة وصوته يعلو بالفعل:

- أنتِ أكيد مجنونة ومش فاهمة بتعملي إيه أو بتقولي إيه!!

واقترب خطوة ينظر إليها بسخط:

- هاعتبر نفسي ما سمعتش حاجة.. وإياكِ..

ولهث بغضب:

- فاهمة!!.. إياكِ تفكري تقولي الكلمة دي لحد.. احمدي ربنا إنها جت فيَّ عشان أفوقك بدل ما تضيعي نفسك..

ثم دار حول نفسه كأسد هائج:

- بعد كده وأنا في البيت مش عاوز أشوف وشك.. تذاكري وتهتمي بدراستك وبس.. وكلام الكبار ده تشيليه من دماغك نهائي وإلا هيبقى لي تصرف تاني معاكِ.

وغادرها بخطوات سريعة واسعة، يسبها في سره..

وتبكي هي بصمت.. ترثي انكسار القلب..

الفصل الرابع

عندما تعاندنا الحياة.. ترفض منحنا ما نتمنى برحابة صدر.. تقهر قلوبنا الهشة حد الكسر.. تجادل في أساسيات الاحتياج، وتقرر هي عنا المصير؛ تحدث الوقفة.. وتتغير القرارات..

وقفتها حملت بصمته.. أنين روحها التي مزقها بالتحقير لمشاعرها وما تلاه من تباعد، تجاهل.. خصام.. وحتى قلة عدد الزيارات..

وكلما حاولت التقرب أو الاعتذار نالت الصدود، الجمود.. والفظاظة أحيانًا..

أنوثتها مصدر فخرها أضحت عبئًا يثقل نفسها.. عباءة ودت لو خلعتها، وتمردًا عليها ينشأ في الأفق يأمرها بعدم

الخضوع لسلطاتها، والخروج من دهاليزها التي لا طائل من وراءها سوى الضعف..

وكان القرار يتبعه الفعل الصادم والسريع.. عادت من مدرستها ذات يوم بخصلات صبيانية لا تكاد تصل لعنقها، والمفاجأة.. أنا أكره شكلي عمتي.. وسأتغير.

لم تنجح زوجة العم في إثنائها عن عزمها، حاولت وناشدتها ورجتها وأقنعتها.. لكن القلب المكسور كان أكبر داعم في مواجهة حرب الأنوثة النفسية التي اعتادتها وأدمنتها..

ستخفيها.. تحبسها.. تلجمها..

حتى يظهر من يستحق، وقبل أن ينالها عليه البحث عنها وإخراجها إلى السطح، وإلا ستظل دفينة الأعماق حتى الأبد..

****

وتمر أيام.. تتصل بالأب، تطالب بالرحيل والسكنى إلى جواره.. ووافق..

لم تعد تستطيع تحمل وجودها معه في مكان واحد، أخيه الأصغر صديقها الصدوق، يدللها كما اعتاد لكنها تفتقد دلاله هو، ضحكته هو، نبرته هو.. وحتى هداياه هو..

قررت السفر، وربما عدم العودة.. والحجة.. تعليم أفضل في بلد مختلف..

وصلت لمنزل أبيها صبيحة يوم ماطر، كأن السماء تشاركها دموع فؤادها حزنًا على من تركت خلفه..

لم يودعها، لم يطالبها بالبقاء، لم يناشدها القرب، تجاهل، صمت، وعاندت.. ثم ها هي ذي، يفصل بينها وبينه المحيط، وبون أكبر يبعد بين القلوب..

وجدت لديها أخين توأمين يصغرانها بأربعة أعوام، طفلين لطيفين يشبهان أمهما كثيرًا.. أمهما اللطيفة البسيطة التي

استقبلتها بحنان وعطف، نفرت هي منه لدقائق قبل أن تستكين إليه..

****

-قبل شهرين-

وقفت تساوي خصلاتها القصيرة بسرعة وحدة دون حتى أن تنظر للمرآة أمامها بتركيز، التقطت عصبة رأسها السوداء ووضعتها حول جبهتها، قفازها الجلدي مفتوح الأصابع، سلسلة مفاتيحها وخرجت من المكان بخطوات أقرب للقفز..

في مرآب المنزل الأنيق استقرت دراجتها النارية الضخمة باهظة الثمن، أمسكت بخوذتها من فوق المقعد، ارتدتها على عجالة واعتلتها، أدارت المفتاح فهدر المحرك بصوت لطالما كان عذبًا في أذنيها.. حركت قدمها فوق دواسة الوقود عدة مرات متقطعة فزأرت الدراجة بدوي مزعج..

انطلقت بجنون خارج المكان دون أن تهتم بعداد سرعتها الذي كسر حاجز المائة كيلو في أقل من عشرين ثانية، ودون أن تلمح ذلك المتجمد خلف جدار الردهة الزجاجي يراقب بتعجب هذا الفتى المخبول الذي غادر للتو مرآب منزل أخته بسرعة تخطت الحاجز المسموح.

"معاذ!!"

أخرجه نداء شقيقته من شروده المصدوم فالتفت إليها مشيرًا خلف ظهره:

- مين الولد اللي خرج من شوية ده؟!

عقدت حاجبيها واقتربت تجاوره أمام الجدار:

- ولد مين؟!

هز كتفيه بتوضيح:

- على موتوسيكل هارلي.. ده مجنون، بيسوق بغباء..

لم يكن يتصور أن رد الفعل سيكون قهقهة عالية وشهقات أنفاس متعسرة:

- ولد!!.. آخ بس لو تعرف!!

كتف ذراعيه ينظر إليها باستنكار، حاولت كفكفة الضحكات التي أدمعت عينيها بالفعل:

- دي رهف.. بنت كامل.

تحول استنكاره لذهول فعلي وهو يدور برأسه يطالع المرآب ثانية كأنه يبحث عنها أو يتطلع لأثر رحيلها هامسًا باسمها الرقيق:

"رهف"!!..

****

عرض زواج..

لم يكن رومانسيًا كما تمنت من بين أحلامها المكبوتة، لم يواجهها حتى بل توجه لوالدها مباشرة برسمية مبالغ بها، ونال الرد المعتاد..

"نعرف رأي العروسة"..

وأخبرها والدها، وعاندت رغم إعجابها به، رغم صداقتها له، رغم إثنائه عليها وعلى شخصها، و"جدعنتها" كما يقول!!..

كأنه يتحدث عن صديق ولا يهتم للباقي..

واستعادت الذكرى.. لايزال صراخه الغاضب حينها يرن في أذنيها..

"نائل"

لا تفهم لم تمر تلك الذكريات بعقلها الآن!!.. في هذه اللحظات بالذات!!.. فكل ما فعله هو إهانتها بل ووصل

الأمر لإهانة والدته ضمنيًا وتلاها تحطيم قلبها بجفاء ودون أن يلتفت للخلف أو يبالي..

عادت لسبع سنوات مضت، أتت ببقايا أنثى تحاول مداراتها، وساعدها مجتمعها الجديد على ذلك.. أب في حاله كما يطلقون عليه، زوجته لطيفة حنون لكنها لن تحل مكان أمها مهما فعلت.. وصبيين بنكهة الشياطين أصبحت هي ثالثهما وبإرادتها الحرة..

أكملت دراستها، تدربت على القيادة وكرهتها، شعرت فيها بقيود أعلنت تمردها عليها، فتحولت للدراجات النارية رغم رفض الأب وقلق زوجته.. وما شجعها كان حماس أخويها..

فهي الصبي الثالث، الأكبر وصاحب الأمر..

ترتدي الجينز دومًا، قمصان شبه رجالية داكنة الألوان، سترات جلدية وقفاز من نفس الخامة يظهر نصف أصابعها..

لا مساحيق تجميل، لا خصلات طويلة، لا عناية ببشرة كما كانت وهي صغيرة مجرد دمية مزينة للنظر!!..

وأتى الأخ الأصغر لزوجة أبيها..

"معاذ"..

ثلاثيني وسيم بدرجة معقولة، ذو لحية دائرية منمقة تحيط بشفتيه، وعينان حالكتان غامضتان، وكره عام لجنس الإناث.. إلا هي!!..

أصبحا صديقين، تعرفت عليه وعلمت عنه الكثير، نمت بينهما مشاعر لطالما اشتاقت إليها..

على الأقل ولدت بداخلها هي..

أما عنه فلا تدري، هو يشاكسها، يثير غيظها، تأخذ بنصيحته وينصح هو باهتمام ورحابة صدر، والمفاجأة عشقه للتنس الذي أصبح عادة أسبوعية اندمجا فيها سويًا، تهزمه مرة ويهزمها مرات وتحصل على سخريته..

هو مطلق قبل عام، امرأة تثير بها الفضول.. لمَ تطلقا؟!.. ولمَ عاد؟!.. بل لمَ تزوجها منذ البداية!!

ثم الآن..

بعد شهرين من ظهوره، عودته لحياة أخته؛ طلب يدها للزواج..

دون أن ينوه عنه لها، يلمح.. أو حتى يعرض عليها الأمر كما تمنت!!..

لا تعلم لمَ ضج عقلها بالرفض على الرغم من إعجابها به بل وميل قلبها إليه متناسيًا جرحه السابق!!.. هي تخاف جرحًا جديدًا، تخشى انكسارًا آخر.. تطمح للحب..

تريد من زوجها أن يكون حبيبًا ينبش عن أنوثتها المدفونة في قبر العناد والكبرياء..

يستخرج الفتاة بداخلها.. ويتملكها بحب يحملها به لعنان السماء..

هي ليست رومانسية!!.. لا، كلا.. هي فقط تتمنى أن تحيا بحب وسعادة، كحلم أي فتاة.. ولن تشذ عن قاعدة إناث العالم حتى لو غلفت الصبيانية كل تصرفاتها وملابسها..

ووافقت..

لم يكن ليطلبها للزواج إلا لو بقلبه شيء ما لها كما بقلبها!!..

مع الوقت سينمو ويتحول لما هو أكبر، وأقوى.. فتنال أخيرًا الفرحة التي تنشدها من ضيم الحياة..

****

"يعني إيه هي اللي هتنفعك!!.. أنت اخترتها على أساس إيه يا معاذ؟"

تنهد ببطء، استرخى في جلسته ومد ساقيه أمامه فوق طاولة مقابلة بإهمال كعادته:

- على أساس إنها مختلفة عنها..

عاتبته أخته بنبرة لائمة:

- لسه بتفكر فيها!!

أغمض عينيه يخفي نظرته القاسية:

- الحب ما بيتنسيش بالسهولة دي..

وفرك أعلى أنفه بتعب:

- ده لو كان بيتنسي من الأساس!!

لامته ثانية:

- ورهف ذنبها إيه تدخلها حياتك وأنت مش مستعد؟!.. لا ولسه قلبك باقي على غيرها رغم الجرح!!

فتح عينيه يناظرها بغضب:

- رهف مناسبة ليَّ يا راندا، وأنا مش هاستنى سنين عشان نادين تخرج من قلبي..أنا عاوز أعيش حياتي عادي، أتجوز وأستقر ويكون عندي أولاد..

زجرته لأجل المسكينة التي حكت لها عن حبها السابق وقلبها الممتهن بعشق لم يكتمل:

- برده رهف أو أي واحدة مالهاش ذنب تدخل حياة راجل وهو عايش في خياله مع واحدة تانية!!

اعتدل بحركة حادة:

- مين قال إني لسه عايش بخيالي معاها؟!.. هي انتهت من زمان ومن قبل الطلاق وأنتِ عارفة كده كويس..

ربتت على كتفه بحنو، تدرك ألمه، ماضيه.. امرأة أحبها أو حتى توهم ذلك الحب ولم تكن هي في الحقيقة، امرأة زينت له الدنيا حتى دخل القفص، ثم اكتشف أنها حمقاء تافهة لا تعرف معنى أن تكون امرأة سوى بأدوات الزينة والملابس من أغلى الماركات..

والحفاظ على قدها الرشيق دون أن يشوهه حمل أطفاله!..

همست له برقة:

- مش عاوزة رهف ينكسر قلبها..

ورده كان جديًا قاطعًا كسيف وكأنه يعلم عن يقين:

- رهف مش بتحبني، أنا وهي اختارنا بعض بالعقل.. كل واحد قيم التاني وعرف اللي يناسبه!!

وكان يغالط نفسه، هو يدرك أنها تميل إليه ربما كصديق، لكنه فقط يرفض الاعتراف، ربتت عليه ثانية:

- ورهف تناسبك!!

فكر للحظات بدت كدهر رغم قصرها:

- ما حدش غيرها يناسبني، لا مكياج ولا سبا ولا نوادي وصحباتي وحفلاتي..

وابتسم بشغب:

- رهف هتبقى مراتي.. وواحد صاحبي، زيها زيي..

وقهقه بمرح:

- ناقصها بس شنب..

وكزته بغضب حقيقي:

- ما تقولش عليها كده، دي زي القمر.. وأنت غبي وبكرة تعرف.

هز كتفيه بلامبالاة وعاد يسترخي في جلسته معانقًا جفنيه براحة..

راحة انتزعها من الصغيرة التي استمعت دون قصد لكلماته الحادة كسيف..

الفتاة التي مالت إليه.. لتجده يميل لرجولتها الظاهرة رافضًا أنوثة احتفظت بها لأجل من تحب.. ففاجئها بأنها نقمة لا يشتهيها.. بل يكرهها..

وتظل تدور في دائرة تحبس نفسها أسفل ركام مصطنع، زاده هو فقررت الدفن بوجع..

ليلتها بكت.. بكت من جديد وسالت دموعها لأجل رجل، مرة أخرى!!..

ودت لو ذهبت لأبيها تعلمه برفضها، تخبره أنها لم تعد ترغب به زوجًا.. وتتندر أنها تبحث عن زوجة فهي رجل تحتاج فقط لشارب..

بكت وسبته.. لعنت قلبها الغافل..

وعندما أشرقت شمس الصباح نبتت الفكرة ونفذتها على الفور..

هي ستنتقم..

من "نائل".. من "معاذ".. من دنيا فرقتها عن أم وأب.. ولم يكن التعويض كافيًا..

ودرسه الجديد في حياته البائسة؛ سيكون على يديها..

وليحترق في الجحيم ذاك المعقد المتنمر..

الفصل الخامس

-الوقت الحاضر-

دعوة عشاء لبعض معارف الأب.. فرصة مناسبة أو "اللقطة".. بمعنى أصح لتعرفه معنى الغيرة..

تعلم أنه حتى يوم عقد قرانها لم ترتدي ثوبًا حالما كباقي الفتيات.. بل اختارت بعد شجار عقيم مع زوجة أبيها ثوبًا فضفاضًا يتوسط خصره حزام عريض وتعلوه سترة واسعة لا تظهر منها شيء..

وليلتها رأى هو كل شيء.. أو على الأقل ما سمحت به وتركت المختفي لخياله الذي يتابعها في كل مكان هذه الأيام..

حركت فيه هذه المرة رجولة ذكر.. وستعلمه معنى أن يراها مثله..

لن تعاند بثوب كاشف، لن تتزين بطريقة فجة كالسابق، بل ستجاوره كما ينبغي لعروس.. فقط تعلم ما عليها فعله.. وكيف ستثير غضبه لتصل إلى ما تريد!!..

تأنقت.. تألقت.. وبابتسامة مرسومة وثوب يشبه لون مقلتيها كانت تهبط الدرج برقي..

غمزة تبادلتها مع أخته وابتسامة قبل أن تنبهه الأخت لحضورها..

ينظر ببلاهة حتى كاد فكه السفلي يتدلى بانشداه، يحيطها بنظرة مشتعلة، ويبتسم بتملك..

اقتربت منه، واجهته فمد ذراعه يحيط بخصرها.. يقربها منه بهمس:

- اتأخرتِ ليه؟!

هزت كتفيها بلا معنى:

- كنت بالبس.. طبيعي يعني..

رمقها بنظرة مستخفة:

- ومن إمتى اللبس ده؟!

وحصل على نظرة ماكرة:

- دي حفلة يا معاذ.. مش هاحضرها بالجينز..

زوى ما بين حاجبيه وابتسم بلؤم، تركته يتفحصها بعينيه في بطء، منحته كل الوقت اللازم حتى تلاقت الأعين.. عندها ابتسمت:

- إيه.. مش حلو الفستان؟!

انحنى عند أذنها بهمسة حارة:

- يجنن.

ودق قلبها لكنها حجَّمت الدقة والفكرة ورد الفعل..

تحركت مبتعدة تختلط بالضيوف وتنتظر الصديق الآخر الذي سيعلم زوجها معنى أن تكون زوجته امرأة جميلة..

وهو أحمق لا يبالي إلا بالظاهر فقط دون عمق روح تعذبت في قوقعة الانتظار!!

ستعلمه الفارق بينها هي.. وبين من سبقتها في دربه الملتوي، من تسببت له في عقدة بلهاء تشبه بلاهته وهو يتابعها بعينيه أينما ذهبت في كل لحظة طوال الحفل..

"واااااااو.. لأ رهف.. ما تقوليش!!"

صفير معجب، نبرة مرحة وضحكة رجولية مشاغبة التفتت بعدها لصاحبها ببسمة تلقائية واسعة:

- وسام.. إزيك؟!

واجهها بتأمل، أمسك بأناملها وأدارها حول نفسها يتطلع إليها في انبهار يتقافز بشيطنة داخل عينيه:

- الحمد لله.. يادوب جيت من السفر من ساعتين وعرفت بحفلة أونكل كامل.. قلت فرصة ما تتفوتش، كان لازم أشوفك.. وحشاني قوي..

زمت شفتيها وتمتمت من بين أسنانها:

- ما تسوقش فيها للدرجة دي..

ضحك بشدة:

- ليه يا بنتي!!.. ده حتى النتيجة مذهلة.. ٣.. ٢ .. ١.. آن آن آآآآن..

"رهف"..

تمالكت ملامحها دون تعبير محدد، وجدته يحيطها، يقربها منه، ولغة جسده كلها تعلن ملكية خالصة:

- مش تعرفينا؟!

عقد "وسام" حاجبيه بتساؤل:

- مين ده يا رهف؟!

تنحنحت تجلي صوتها:

- معاذ.. خطيبي يا وسام.. وسام صديق العيلة، والدراسة.

مد يده يصافحه مصححًا ببساطة:

- جوزها..

ورمقها بنظرة جانبية حانقة تجاهلتها، ما تبقى من الحفل لم يفارقها تقريبًا، حتى شعرت بالغيظ فعليًا وكادت تصرخ في وجهه.. تسأله وتجبره على جواب:

"منذ متى؟!"..

قبل أيام لم يشعر نحوها بشيء، والآن عندما أظهرت ما تخبئه تحركت غريزة التملك بداخله فجأة.. ياله من أحمق، غبي!!..

والدرس لم ينتهِ بعد يا سيد..

****

لم يطرق الباب، لم يطلب الإذن بل اقتحم غرفتها باندفاع وهي بفراشها تقرأ مقالًا ما عن عملها في مجال الجرافيك على حاسوبها المحمول، علت الصدمة وجهها بينما يغلق

عليهما بابًا واحدًا.. يقترب بخطوات متوثبة، عيناه غاضبتان بشكل غير مبرر.. فبادرت بالهجوم:

- إيه ده!!.. إزاي تدخل أوضتي بالطريقة دي يا معاذ؟!

لم يهتم بجواب السؤال قدر اهتمامه بجذبها من فوق الفراش متطلعًا لمنامتها الواسعة الطويلة بسخرية:

- فرحنا بعد أسبوعين.. اتفقت مع عمي..

وتحولت القطة الشرسة برقة لنمرة ضارية:

- أفندم!!.. وأنا إيه؟!.. تحصيل حاصل ولا هتتجوز الكنبة؟!..

قربها منها بدرجة خطيرة أفقدتها عدة أنفاس:

- أكيد مش كنبة..

والنبرة متحشرجة متباطئة والنظرات متمهلة ولقاء الأعين طال.. سيقدم على شيء أخرق وهذه المرة ستلسع وجنته

بأصابعها النحيلة، صمت يراقب تعاقب انفعالاتها على وجهها.. علم أنها على وشك ضربه بالفعل فآثر الصمت المؤقت.. وانتوى القصاص..

وكلها أيام يا حلوة!!..

انتزعت يدها منه بعنف:

- أنا مش موافقة يا معاذ.. عندي شغل كتير جدًا ومش فاضية لموضوع فرح وفستان وحفلة والكلام الفاضي ده!!..

هي تتعمد إغضابه بالتأكيد، ما بها هذه المعتوهة؟!.. ألا تدرك عواقب حنقه الذي يشعر به الآن!!..

دمدم من خلف أسنانه التي طحنت بعضها البعض:

- خلصي شغلك في الوقت ده.. والفستان هاختاره أنا والباقي كله عليّ يا رهف.. أظن دلوقتِ ما فيش حجة!!

عاندته بتذمر:

- وأنت مستعجل كده ليه؟!

عاد يقترب وهي تتراجع حتى اصطدمت بالنافذة المجاورة لفراشها فحاصرها بذراعيه مستندًا للزجاج من خلفها، مال نحوها حتى تعانقت حرارة الأنفاس وتلاقت جفونها رغمًا عنها:

- عشان مراتي ما يصحش تقدمني لواحد على إني خطيبها..

ولفح أذنها بلهيب غيظ:

- يا مراتي..

وابتعد، واستشاطت غضبًا وقهرًا..

ذلك الغبي المغرور، ما يهمه كيف قدمته لزميل دراستها وابن صديق أبيها!!.. لم يشعر بغيرة!!.. لم يهتاج لعيني آخر تغزلتا في أنوثتها!!..

قرب الباب توقف والتفت وقرر بتسلط:

- أسبوعين يا رهف.. بعدهم ما فيش يوم زيادة.

وفتح الباب مغادرًا، واصطدمت بخشبه وسادة وأخرى وكتمت غيظها وصراخها بقفزة داخل الفراش.. ثم أقسمت ألا دموع..

لن تبكي.. لا يوجد رجل مهما تملك من مشاعرها يستحق عبراتها، أو نحيب روحها!!..

ليس ثانية..

وليس هذا المعقد الذي لا يبحث عن قلبها بل جسدًا يحرك فيه؛ محض غريزة..

****

لا معنى للتوتر.. لا داعي له ولا ترغب بوجوده..

لكنه يهاجمها منذ تلك اللحظة التي أعلن فيها قراره الجمهوري الأول مدشنًا دولة زواجهما بحكم ديكتاتوري يحدد به موعد الزفاف..

وهي الشعب المطحون لم تكن لتخضع أو تقبل بسهولة..

وهي أيضًا.. الخاسرة في معركة وقف الكل فيها معه..

ورضخت للحكم، تنفذ بغضب.. وتتحرك كأنها فوق صفيح ساخن، تتوعد، تهدد، ترغي وتزبد.. وتتحالف مع نيات السوء فتتوارى الشياطين..

زوجة أبيها التي تهتم بها منذ أعلن عن الموعد لا تتركها لحالها، كل يوم أوجبت عليها الخروج فداءً لمستلزمات العروس، تشتري لها الكثير من الأشياء وتعلم كما تعلم هي أنها لن ترتديها، في الوقت الحالي على الأقل، في نهاية يوم طويل وبعدما دلفت لغرفتها محملة بأثقال التسوق هتفت بها:

- يا راندا حرام عليك بجد..

قرصت وجنتها بحميمية:

- كام مرة قلت لك بلاش راندا دي!!.. أدك أنا؟!

تذمرت بخفوت دون رد، جذبتها لتجاورها فوق الفراش، تمسك بكفيها وتتأملها بحب:

- أنت بنتي اللي ما خلفتهاش يا رهف.. ما تتصوريش أنا فرحانة بيكِ إزاي!!

ومدت باطن كفها تلامس به الوجنة الناعمة ثانية:

- وواثقة فيك أنك أنتِ اللي هترجعي له ثقته في الستات والحب.. الست وهي ست فعلا، مش زي ما هو فاهم..

أدارت وجهها، حزن ما يسيطر عليها كلما فكرت في الخطة التي رسمتها مع أخته، الأمر يصب في مصلحتهما سويًا، لكنها تخاف.. تتردد.. وتخشى رد فعله، ومع ذلك تبتسم بخبث كطفلة على وشك خوض لعبة مبهرة لم تتعلمها في يوم ما..

أعادت المرأة خصلة شاردة فوق جبينها للخلف، نهضت تقبل رأسها بحنو:

- نامي وارتاحي.. بكرة ورانا قرارات مهمة.. وخطة نظبطها سوا..

وغمزتها بشقاوة أطلقت منها ضحكة خافتة..

ارتمت فوق الوسائد الكثيرة كما تحبها، تفكر.. تتمنى، وتحلم..

ولا مناص من بعض الخوف يتربص بها في النهاية معلنًا أنها ليست قدر بركان ألقت بنفسها داخل فوهته وهو على وشك الفوران.

الفصل السادس

لا تصعد بآمالك نحو السماء..

لا تقترب من حرارة الشمس..

لا تحلق بين السحب..

فعلى قدر العلو.. يقتل السقوط!!

....

أغلق باب الجناح خلفها برفق وعلى شفتيه ابتسامة منتصر كأنه فاتح عكة.. أو صلاح الدين وقد حرر القدس.. ابتسامته أغاظتها فحركت مياه غضبها الراكدة تستدعي ملامساته لها أثناء الرقصة..

لم ينظر لها برومانسية، بل كان يأكلها بعينيه أكلًا كأنها طبق حلوى أمام جائع دهر..

كانت جميلة.. تعلم ذلك وتعلم أنه يراه وبوضوح الآن، لكن جمالها ليس له ما لم يتملك قلبها.. ما لم يسلك الطريق نحوها.. ما لم يرَ الأنثى التي تئن احتياجًا للحب والاحتواء قبل أن يحتوي هو جسدها ليشبع توقه ويريح نفسه..

خطا إليها بتلهف أوقفته على بعد قصير بزجر آمر:

- معاذ من فضلك.. أنا محتاجة أرتاح، أظن كده مبسوط!!.. نفذت اللي أنت عاوزه واتجوزنا!!

وتحركت تستدير تاركة إياه بفم مفغور ووجه يعلوه الذهول:

- طول الأسبوعين اللي فاتوا هلكت بجد.. يااااه..

وتنهدت بحرية:

- أخيرًا هارتاح!!

لحقها بخطوتين واسعتين يجذبها نحوه:

- ترتاحي!!

ومال يقترب يبحث عن لذة شفتيها:

- من هنا وجاي ما فيش راحة..

وتركته حد الملامسة وقبل النيل دفعته بفظاظة:

- أنت بتعمل إيه؟!..

وتظاهرت بارتباك وخوف:

- معاذ.. من فضلك ما تعملش كده تاني!!

واصطنعت رعشة:

- ما تخلينيش أخاف منك.

وانفتح فمه ثانية يتطلع إليها بصدمة:

- تخافي مني؟!.. ليه يا رهف!!

أحاطت نفسها بذراعيها في توتر:

- بتقرب مني بطريقة غريبة!!.. من فضلك بلاش كده..

ودون وعي كان صراخه:

- بلااااش!!

انتفضت أمامه بذعر خفف من حدة غضبه، تمالك نفسه لاعنًا إياها وأخته بل وحتى زوج أخته في سره.. هذا غير معقول!!.. لابد أنها تمزح!!.. لم تعد هناك امرأة تجهل مثل هذه الأمور:

- رهف.. حياتي، القرب ده طبيعي بينا.. زوج وزوجة.

هزت رأسها بنفي ضعيف مستجير وهمست باستعطاف:

- لأ.. لأ يا معاذ، من فضلك.. ما تقولش كده..

تنهد ببطء:

- طيب.. طيب بصي، قربي مني وما تخافيش، لو خفتي ابعدي مش هاقولك حاجة..

وافتعل بسمة يواري بها حنقه الواضح:

- جربي!!

نظرت إليه بصمت.. صمت يعني الرضى، يمنح موافقة وهو قناص فرص..

احتواها برفق، قبل الجبين برقة، وتنقل بشفتيه فوق وجهها بنعومة آسرة، وأمام شفتيها زفر بحرارة وتماسك أكثر قبل أن يلصقها به ويشبع توقه لنكهة العسل الشهية التي ذاقها مرة ثم حرم منها بعدها..

ثوان.. ثوان فقط لم تطُل وأبعدته بضعف، استجاب لدفعتها يطمئنها، وجدها ترمش بعينيها، وسالت دمعة.. دمعة واحدة مزقته، تأمل صمتها وملمح الخوف الذي لمع بمقلتيها للحظات.. ربت على كتفها بحنان، تظاهر ببسمة ومواساة:

- خلاص يا رهف.. خلاص، روحي ارتاحي..

أومأت في استجابة ساكنة، وتحركت نحو غرفة النوم تتبعها خطواته، توقفت والتفتت إليه:

- أنت رايح فين؟!

مط شفتيه باستغراب:

- هاغير وأنام!!

توسعت عيناها قبل أن ترفض بحسم:

- بس أنا مش باعرف أنام جنب حد.. وجوا سرير واحد.

وكاد يستخدم أسلوبه المصري العتيق ويعلمها أصول "الردح".. زفر كاظمًا غيظه:

- يعني إيه يا رهف.. أنا جوزك، حاولي تفهمي يعني إيه جوزك!!.. مش هانام على الكنبة ليلة فرحي.

وحان وقت التسلط، فالضعف أدى دوره وانتهى:

- ما حدش قالك هات سرير واحد، ممكن تخرج تنام في أي أوضة من أوض الضيوف..

كاد يصرخ فعليًا، هي معتوهة أم تتظاهر بالعته!!.. نظر إليها باستخفاف:

- ولما أبوكِ يلاقيني نايم في حتة تانية يقول إيه؟!

هزت كتفيها بلامبالاة:

- هيقول إيه يعني؟!.. ما فيش سرير تاني وهو عارف طبعي.

خلل شعره بأصابعه في قسوة، ضم فكيه يضغطهما بعنف:

- ما ينفعش يا رهف.. صدقيني ما ينفعش.

عادت تهز كتفيها وتوليه ظهرها:

- يبقى الكنبة.. هي الحل.

وأغلقت الباب خلفها..

تستند إليه، تضحك وتبكي بذات الوقت..

وعلى وعيدها تشتد النبرة..

"لن تنال إظفري قبل أن تنطق أحبك وأشعرها بقلبي يا غبي.."

ها أنت قد تذوقت.. فعش الحلم بمذاق لن يزور سوى أسوأ كوابيسك..

يا مغرور، يا معقد!!

****

"عاجبك كده يا راندا.. كلميها بقى وفهميها يعني إيه جواز!!"

ودار حول نفسه بعجز يائس غاضب:

- ليلة فرحي وبعده أسبوع كامل أنام ع الكنبة!!.. ليه؟!.. هي دي اللي بتقولي لي هتندم؟!.. أنا فعلًا ندمت..

لم تقاوم الضحك.. ولمَ تفعل والخطة تسير على أحسن ما يرام؟!.. المسكين يتعلم درسه بأقسى الطرق، لكنه يستحق.. وصغيرتها تستحق أن تنال الحب قبل أي شيء، صاح بسخط:

- وكمان بتضحكي؟!..

ولم تتوقف، كيف يمكنها وهي تراه على هذه الحال، نمر حبيس، مكتوف الأيدي، يعشق العسل ولا يستلذ بمذاقه!!..

هدأت قليلًا وسحبت نفسًا عميقًا:

- اهدى بس يا معاذ.. البنت لسه صغيرة وأنت أول تجربة، كل حياتها زي ما أنت عارف كان عايشة دور المسترجلة، ولا بتهتم بأنوثتها ولا بتفكر فيها..

هتف حانقًا:

- وأنا ذنبي إيه؟!.. بعدين ده مالوش علاقة بإنها تكون عارفة إيه حقوق جوزها عليها..

ربتت على كتفه تواسيه:

- معلش.. إديها وقتها وخليك هادي معاها، لما تتعود عليك هتقبل قربك ووقت ما تقرب أنت هتقدر تحتويها.. قرب منها بهدوء وخلي الأمور تيجي بسلاسة..

هز رأسه برفض متردد:

- طيب ما تكلميها يا راندا.. فهميها، مش معقول كده!!

كتمت ضحكة وعادت تربت:

- حبيبي حتى لو كلمتها، إنها تفهم حاجة.. والتقبل حاجة تانية، وده في إيدك أنت.. تعالى على نفسك شوية وخليها تحبك.. وقتها هتنسى الدنيا وتنسى نفسها معاك..

شعر ببؤس يكتنفه، هو لا يبحث عن حب، لا ينشد القلب.. هي فقط حياة مستقرة لطالما طمح إليها، مع امرأة تناقض الأولى في كل شيء، وتلائم ذوقه الجديد..

كيف ينال قلبًا لا يريده!!.. وكيف يملأه بحب لا يملكه؟!..

"اكسب قلبها الأول يا معاذ.. هتكسب كل ذرة في كيانها بعدها، هتملكها ووقتها هتملك السعادة اللي أنت محتاجها"

همسة أخيرة من أخته، تركت به عميق الأثر، فاستكان بصمت.. ينوي التنفيذ، والخطوة الأولى هي البحث عن حل.. حل يقربها منه..

ودون أن تتدخل القلوب في المعادلة!!

الفصل السابع

هل يعقل أن يمر ثلاثة أسابيع على زواجه وهو ضيف مستديم فوق أريكة تحتوي جسده بالكاد!!..

لو أخبره أحدهم عن هذه المهزلة قبلًا لضحك حد الدمع ثم منحه لكمة حتى يمزح فيما يمكن، فلا يتعداه لخطوط المستحيل الخلفية..

بعد زواجه من الصبيانية التي لم تعد صبياينة بالمناسبة إلا وقت عملها، وأمامه في المنزل تتزين بطريقة ناعمة رقيقة، تجلس معه وتداعبه كأنهما صديقان.. تجبره على متابعة مسلسل تليفزيوني أمريكي شهير ويالرومانسية فهو يتحدث عن مصاصي الدماء!!.. تهتم لأمره وطعامه رغم أنها لا تجيد الطهي.. تخرج معه وتساعده في عمله، تعتني به بشكل لا يصدق..

فقط كأنهما صديقين.. لا أكثر ولا أقل.. وهي سعيدة بذلك..

هو يحاول القرب، وكلما اقترب احترق.. فهي تتركه لثوان، ثم تبعده بهدوء وتهرب من المكان بإدعاءات لا حصر لها.. أهمها..

"لا تجعلني أخافك!!"..

على وشك الإصابة بالجنون، وشقيقته لا ترحمه من مزاحها، ومن نصائحها التي لا تفعل شيئًا سوى إرهاقه أكثر..

"معاذ.. يلا الحلقة هتبتدي"

وصله صوتها ينتزعه من أفكاره عنها.. أفكار تشمل القتل بطرق مختلفة..

ذبحًا..

خنقًا..

أو بسكين تقطيع اللحم ربما..

وحينها قد يرتاح، أو...

ويفكر.. لم يستطع تنفيذ خطة أخته سوى يومين بعدها تباعد عنها وتركها هي تعتني به، قربه منها يشعله وهو في غنى عن استعار بلهب لن ينطفئ..

ماذا لو جرب مرة أخرى الليلة!!..

ماذا لو ابتلع ترياق الأمل، وحاول تطبيق الخطة المرسومة.. ونيل القلب!!..

ذهب إليها فوجدها متربعة على أريكة نومه، أمامها طبق ضخم من "الفشار".. مشروبات باردة وبعض الحلوى.. وبالطبع رفيقها الدائم "وعاء العسل".. وهذه المرة أحضرت ملعقة..

ابتسم..

ففي كل مرة يراها تأكل العسل بأصابعها يأكله معها.. ومن أصابعها أيضًا حتى يشعر بها تكاد تذوب، وحين يتقدم نحوها خطوة؛ تتراجع عشر وتتركه لنيرانه تأكله حتى تقضي عليه..

أشارت إلى جوارها بأريحية:

- تعالى.. المفروض الحلقة النهاردة نارية.

ومنحته بسمة لطيفة جذبت عينيه، كيف لم ينتبه لابتسامتها من قبل!!..

جاورها بهدوء وبدأ بتناول بعض الحلوى بمزاح ساخر:

- نفسي أفهم كل الحشر ده بيروح فين؟!

وكزته بمرفقها في جانبه فتصنع تأوهًا امتزج برفعة حاجب هازئة:

- أنا رياضية يا أستاذ.. وباعرف أحرق كويس..

وكانت تقصد سعراتها، وأخذ هو الكلمة على نفسه المحترقة كلما رآها بهذا الشكل!!..

لا يعلم هل هي تقصد تعذيبه أم ماذا؟!..

مناماتها الحريرية القصيرة، أثوابها البيتية الكاشفة، ومعالم أنوثة قاسية ومرهقة للقلب ولغريزة ذكر.. تأملها لثوان قبل أن يداعب خصلتها النافرة على الدوام بأنامله:

- أنتِ هتقوليلي!!..

ابتسمت وفهمت ولم تبالي.. دقائق مضت قبل أن يستمع لتنهيدتها الحارة:

- هيييييييييح..

ماذا؟!..

التفت إليها بذهول فأشارت للشاشة:

- إيان ده جبار.. رغم قسوته وعنفه وشراسته شوف بيكون قدامها إزاي!!.. وعيونه...

وتأوهت بإعجاب:

- آه يا قلبي.. نظراته ليها فظيعة يا ميزو..

وهتف بحدة:

- ميزو!!

لم تلتفت إليه كأنها ترفض إبعاد عينيها عن الممثل الوسيم صاحب العيون الزرقاء:

- أيوة بادلعك.. فيها إيه؟!

شعر بالغيظ وهي تتأمل ذاك الآخر والذي لا يرى فيه أي ملمح للوسامة، وحمارها الأرعن ينطق أحجارًا صماء كقلبه:

- إيه حركات البنات دي؟!

هذه المرة استدارت إليه بنظرة نارية:

- أفندم!!

أشار للشاشة بلا معنى:

- مش طباعك يعني يا رهف..

لو كانت العيون تطلق الرصاص لتسببت له الآن بعاهة مستديمة، لم ترد وعادت تتابع بصمت، باهتمام، وتنهيدات بين كل حين وآخر فأراد إغاظتها:

- مش لايقة عليك الحركات دي صدقيني.. وبعدين إيه إيان ده!! عاجبك إيه في عيونه الزرقا دي؟!

نظرت إليه بسخط وردتها له:

- إيش فهمك أنت؟!.. العيون الزرقا دي أجمل عيون.. بتحس معاها إنك في السما أو بين موج البحر.. مش زي السودا مالهاش ملامح..

والبادي أظلم يا سيد..

عقد حاجبيه وقرر الخروج في رحلة قنص، اقترب منها بوجهه:

- العيون السود أساس الجمال، أقوى وأعمق نظرة..

وكادت تغرق كما خطط.. لكنه أحمق وهي تعلم ما يريد وقد أقسمت ألا يناله إلا بثمن، فاجأته بالتفاتة سريعة وتنهيدة أخرى:

- هيييييييح.. بص بص، أسود إيه بس!!

وثار هذه المرة وعلت نبرته لهجة جدية:

- قلت لك حركات البنات دي مش لايقة عليك يا صاحبي..

ورغم مزاح الجملة فقد ذبحتها النبرة.. تطلعت إليه لحظة بألم، قبل أن تقرر الانتقام، نهضت من فوق الأريكة وألبسته طبق الذرة في رأسه دون حديث..

قلبها يبكي..

وعقلها يهتف به حانقًا:

"أنا من فصيلة البنات يا غبي"..

نعم هي فتاة.. تحتاج للتقدير، للحب.. وتلعن قلبًا صغيرًا يسكن بين ضلوعها، أصبح يعشق أحمقًا آخر كأنما ديدن حياته هو الغرق في متاهات الحمقى..

****

أسبوع آخر مرهق للقلب..

شهر كامل، ترفضه، وصل به الأمر حد الملل، ووصل بها هي أيضًا..

كثيرًا ما فكرت بإنهاء اللعبة ومنحه ما يريد، الاستسلام لبحور اليأس وترك عواصفها تحملها حيث تشاء، نيل قلبه ليس سهلًا رغم محاولاتها التقرب منه والغوص في عالمه..

تهتم بكل ما يخصه وتعتني به كزوجة محبة.. وكل ما يراه منها هو جسد يطمح إليه ولا يناله..

ألهذه الدرجة هي رخيصة؟!.. مجرد متعة بالنسبة له!!

عن أي حياة واستقرار يتحدث وهو يدور حولها باحثًا عن أمر محدد لا غيره!!..

ماذا عن قلب يمكنه أن يمتلكه ببعض الجهد لكنه يرفض البذل بالمقابل؟!..

ولضعف أنوثتها وحماقتها.. تملكه بالفعل، ودون أن يبادله بشيء.. امتلك عليها مشاعرها، روحها، أفكارها.. وهي لم تنل منه سوى قتل تلك الفتاة الحالمة بداخلها كلما تحدث.. وإحياء أنوثة امرأة مغوية كلما نظر..

كائن متناقض يثير غضبها..

وتحبه!!..

وتحتها مائة خط أحمر، فالحب ليس من ضمن الصفقة ولا يدخل في حساباته..

كانت مسترخية في المغطس بين فقاعات الصابون العطرية والماء الدافئ، تحاول دفع أفكارها بعيدًا.. هي تحتاج لبعض الراحة، وراحتها ليست مع ذلك القاسي..

أنهت حمامها ولفت منشفتها البيضاء حول جسدها، مسحت المرآة من بقايا بخار شوه أمامها الصورة، سالت من عينها دمعة..

وآه يا قلب.. كتب عليك عشق من لا يبادلك عشقه..

خرجت من الحمام بشرود، تبحث عن ملابسها ولم تكن تتوقع وجوده بالمنزل في هذه اللحظة..

بل لم تكن تظنه يمكن أن يكون بغرفة نومها رغم أن ملابسه بها، تجمدت وتجمد في مقابلها..

بدت له مغرية للغاية، وردية دافئة رطبة وناعمة..

وحدث الانهيار..

لم يعد به صبر وقدرته على التحمل باتت صفرًا..

اقترب منها ببطء، يحيطها بعينيه.. صدمت هي في مواجهة نظراته التي أخجلتها بشدة.. صدمت وحاولت استدعاء قوة خفية لنجدتها:

- أنت هنا من إمتى؟!.. وبتعمل إيه في أوضتي؟..

لم يرد، اكتفى بخطواته وعينيه اللتين تكبلانها بأصفاد نظرة لها مقصد واحد..

سأنالك الآن وليكن ما يكون..

سكنت واستكانت وسلمت.. دقائق كدهر.. بل هي لحظات ألم، روحها تمزقت وقلبها يبكي وجسدها الخائن يذوب لهفة..

لكن بقايا عقل وشعور بالانكسار بقيت صامدة تحارب لأجل حب تحلم به، تتمناه وتريد الحصول عليه..

ابتعد عنها فجأة يطالعها دون فهم.. قفز خارج الفراش فأغمضت عينيها ترفض لقاء عينيه، ترفض رؤيته بل

وحضوره الذي طغى على مشاعرها، سمعت همسته المذبوحة:

- للدرجة دي!!

لم تجبه، زمت جفنيها بعناق قاس فأكمل بحزن:

- أنا آسف..

ورحل..

ترك الغرفة بل والجناح ومنزل أخته كله..

وبين شفتيه مذاق دموعها..

الفصل الثامن

لمَ يقترن العشق دومًا بالألم؟!..

نبضات القلب موجعة، أفكار العقل شاردة ضائعة، والروح تهفو لاكتمال تمردت عليه الدموع..

فلا اكتمال ناقص.. وهو ينقصه الكثير ولا يهتم..

مسحت دمعاتها بظاهر كفها بعدما انطوت على نفسها كجنين فوق الفراش عقب رحيله..

كادت تمنحه نفسها، كادت تعلنها بهمسة مغرمة:

"أحبك"..

كادت تخبره أنه من تتمنى، أنه رجلها، معشوقها، زوجها.. أنه يستحقها..

لكن العقل رفض، وانكسار القلب أعلن عن الرفض بعبرات كانت هي مذاقه الجديد..

لم يعد العسل يحمل لذة، وليست هي الفتاة التي ادعتها لسنوات..

نهضت تفك منشفتها، بحثت عما ترتديه على عجالة وانطلقت لزوجة أبيها تعلنها بوضوح:

"أنا عاوزة أطلق"..

والمرأة جنت أمامها.. طلاق وبعد شهر!!.. ودون زواج فعلي!!.. ثم حدث الانهيار:

- مش قادرة يا راندا.. مستحيل هيحبني، قلبه مش ملكي.. لسه بيفكر فيها، في عقدته، في حبه ليها واللي مش قادر يمحيه أو يملكه لواحدة تانية..

وارتمت فوق مقعد:

- أنا تعبت..

جاورتها تربت عليها بحنان:

- من إمتى رهف بتستسلم؟!..

رفعت عينيها نحوها بألم فأردفت بإشفاق:

- أنا عارفة إنه عنيد.. بس اللي متأكدة منه إنك أقوى من عناده.. واللي متأكدة منه برده إن قلبه بدأ يتعلق بيكِ.. أنتِ ما شفتيش كان خارج عامل إزاي من شوية!!.. ناديته كذا مرة ما سمعنيش، خرج ولا كأني موجودة.. كان حزين وسرحان.. علامات حب يا رهف..

هزت رأسها بنفي تنكر به:

- مش حب.. لأني رفضته تاني..

صمتت "راندا" للحظات قبل أن تتساءل:

- وهو عمل إيه؟

علا اليأس ملامحها:

- أنا ما رفضتش زي كل مرة.. استسلمت له، زهقت وتعبت وقلت خلاص يعمل اللي هو عاوزه، بس عيوني خانتني وقلبي ما قدرش يتحمل..

ربتت على كتفها باستفسار:

- بكيتِ؟!

أومأت بصمت ثم تمتمت:

- بعد عني وكان مستغرب.. بعدين اعتذر ومشي.

تفهمت المرأة برفق:

- عشان كده وشه كان باين عليه الحزن.. رهف جاوبيني بصراحة.. أنتِ حبيتيه؟!

أغمضت عينيها تستدعي صورته، عينيه اللتين تعشقهما رغم عنادها معه، ابتسامته الخلابة التي تطلق تنهيدات صدرها حارة فتحبسها خشية أن ينتبه، لمسته الحنون عندما وجدها منكفئة فوق مكتبها الصغير نائمة بعد يوم عمل مرهق،

فحملها قرب قلبه ووضعها بفراشها.. ثم قبل جبينها برقة ورحل..

نظراته الرجولية التي توقظ أنوثتها الغافية..

عشقه للترتيب والنظام بدرجة كانت تثير جنونها هي الغارقة في الفوضى..

قهوته المُرة التي تشبه قهوتها..

تفاصيله التي تغيب فيها وهو لا يعلم!!..

همست بضعف:

- رغم كل حاجة.. بحبه.

ونظرت إليها برجاء:

- بس مش قادرة أمنحه الحب ده وهو بيفكر فيَّ من ناحية واحدة بس..

وهزت رأسها بائسة:

- بيفكر في الأنثى اللي اكتشفها.. مش اللي موجودة جوايا فعلًا.. بيفكر في احتياجه هو ومتجاهل احتياجي.. واللي هو بسيط قوي، حبه واهتمامه قبل أي حاجة تانية.

هذه المرة ضمتها لصدرها تهدهدها كطفلة، تقنعها بفرصة أخيرة.. وتتوعده بحساب عسِر..

فقد كسر قلب ابنتها دون أن يدرك..

وياله من أحمق أعمى القلب والبصيرة دون البصر..

****

وجدها في استقباله..

لقد ظل يدور لعدة ساعات بسيارته والأفكار تنهش عقله دون هوادة، هي لا تحبه.. لا ترغبه، لا تريده في حياتها سوى صديق، وهذا دور لن يكتفي به، فلا يمكن لرجل أن يفعل..

هي بلهاء أو مدعية لم يعد يهتم!!..

لقد سئم تلك الألعاب، ضاق بالرفض، ومل الدموع التي لايزال مذاقها فوق لسانه، يخبره كم كان أحمقًا عندما ظن أن تكرار التجربة مع أخرى مختلفة يمكن أن ينجح!!..

بادرته بغضب واضح:

- ممكن نتكلم شوية قبل ما تطلع تكمل عكننة على الغلبانة اللي فوق..

وارتفع حاجباه دهشة.. هل أخبرتها؟!.. كلا لم تفعل، صحيح!!..

وجدها تجذبه من يده لغرفة المكتب بالطابق السفلي، تغلقها بإحكام مؤنبة:

- مش عاوزة باباها يسمع كلامنا..

واستدارت إليه بحنق:

- أنت بتعاملها كده ليه يا معاذ!!

واشتعل غضبه، هو من يعاملها بطريقة سيئة الآن!!..

من استخدمت أسلوبًا جديدًا في رفضه قبل قليل.. الدموع، نقطة ضعف أي رجل وسلاح كل أنثى القاهر!!..

رد بعزم:

- باعاملها إزاي ياراندا؟!.. قولي لي كده!!

ودار في أنحاء الغرفة بهياج:

- شهر كامل بانام على كنبة، متجوز ومش متجوز.. قلتِ لي سايسها وخليك حنين معاها وصاحبها وقرب منها وبلا بلا بلا.. ونفذت.. في الآخر بتعيط لأني قربت فعلًا.. بتعيط يعني بتكرهني، مش عاوزاني.. خايفة مني..

وتوقف ينظر إليها بحسم:

- يعني حياة مستحيلة مش هاقدر أكمل فيها..

ورفع رأسه للسماء باستجداء:

- واضح إني مش بتاع جواز.. أنا أكمل كده أحسن وبلاها تعب القلب.

صدمته بالسؤال:

- وهو قلبك في الحسبة أصلًا يا معاذ؟!

نظر إليها بتيه.. فهاجمته هي دون صبر علَّه يفيق من غيبوبة الماضي الذي يحبس نفسه في دائرة عقده:

- بتحبها ولا بترمي تعبك عليه وخلاص!!

عقد جبينه بغضب:

- أنا بطلت أحب.. ومش ناوي أحب..

تهدل كتفاها في حزن، هو مسكين رغم كل شيء، اقتربت تربت على صدره:

- الحب مش فعل أمر.. الحب تنفيذ لحكم، أنت مش أد مواجهته.

نظر إليها دون إدراك فأكملت:

- وقت ما ده يدق، مش هتقدر تمنعه.. وأنا حاسة إنه دق فعلًا والإنكار مش هيفيدك.. هتوجعه وتوجع روحك وتوجع إنسانة مالهاش أي ذنب غير إنها وافقت تتجوزك بعقدك ومشاكلك اللي مش عارف تحلها مع نفسك فبتسقطها عليها هي.

استمر على صمته وشرد عقله في كلماتها التي لم تتوقف:

- سيبه، حرره.. خليه يروح لها.. يمكن هي اللي تداويه، يمكن هي اللي تستحقه، وقتها هترتاحوا أنتوا الاتنين..

وضحكت برقتها المعهودة:

- وأرتاح أنا كمان من لعب العيال بتاعكم.. أنت كبرت على الكلام ده.

ابتسم بحزن فختمت حديثها:

- جرب تدخل عالمها، تفهمها وتعيش معاها اللي بتحبه واللي بتكرهه زي ما هي عارفة كل تفاصيلك دلوقتِ.

وتركت نهاية كلماتها معلقة في سماء الغرفة دون توضيح..

هل تخبره أنها تحبه؟!..

هل فعلت للتو أم أنه يتوهم!!..

غادرته وجلس في مكانه يغوص في دوامات أفكار متلاحقة متصارعة يسعى لفهم، لشاطئ آمن ترسو عليه سفينته التي أجهدها طول الإبحار فكادت تستسلم للغرق..

الفصل التاسع

هل تذوقت طعم الجنون من قبل!!..

هو لاذع بنكهة حارقة، شهية لا تجعلك تريد تركه، رغم خوف أو تردد يعتريك..

مذاق قوي جاذب لكل الحواس..

خاصة لو امتزج بحمرة الشفق ومقلتا العسل وسترة جلدية سوداء وخصر نحيل بين ذراعيه..

كانت تطير فوق الأرض فعليًا تضحك بشقاوة وسعادة، وهو يحيطها بتشبث قلق، لكنه مبتهج مثلها وربما أكثر، يطلق ضحكة ويلقبها بالمجنونة بين كل دقيقة وأخرى..

هل من الحماقة أن يعترف بصحة رأي شقيقته الكبرى؟!..

لقد كانت على حق..

هو ليس برجل رومانسي، لا يفقه معنى كلمات الغزل، عملي لأقصى درجة، والحياة عنده معادلة قصيرة ونتيجة أقصر ١+١=٢.. لا خلاف، لا متاهات، لا دهاليز محيرة..

لكن معها هي انقلب الحال..

أسبوعين آخرين مرا على زواجه، التزم عهده مع نفسه الذي اتخذه ليلة حديثه مع أخته..

هو وهي..

كلاهما معًا يستحقان فرصة..

بنكهة مختلفة، نكهة عشق.. لم يسلم قلبه بعد فرغم قصة حبه السابقة كان القلب فوق ميزان، في كفته الثانية ما يوازنه، لم يمنح كله.. ولم يرغب في ذلك..

وهنا يخاف، لكن لا بأس من محاولة، قد تجلب سعادة، راحة..

وأمل..

ترك لروحه وقلبه بل وعقله صاحب الأفكار المعقدة العنان، منح نفسه شيء من إطلاق سراح.. حرية ورغبة في حياة، وانطلق..

وها هو.. يعترف بخطأه، بجبنه، بغباء أفقده لذة..

لذة أن تكون كتلة الحيوية والجمال والدلال والعقل هذه؛ أنثاه هو..

شاركها ما تحب، تعلم عنها الكثير، بل وضعها تحت مجهر اهتمامه ودرس تفاصيلها، وفي كل تفصيلة جديدة كان يغرق، هي تستحق.. وهو أبله كاد يفقد كنزه الثمين.. هي..

تذكر شجارهما الصغير قبل قليل وهي تخبره بجدية تامة:

- أيوة بالموتوسيكل.. مش بحب العربيات وأنت عارف..

اغتاظ وكاد يصرخ فيها بأنه أمر لا يصح:

- عاوزاني أركب وراكِ إزاي يا رهف؟!.. بتهرجي!!

هزت كتفيها، ارتدت خوذتها، اعتلت دراجتها.. ومدت يدها بخوذة أخرى تناوله إياها:

- وإيه المشكلة!!.. إحنا مش في مصر، ماحدش هيقول حاجة ولا هيدقق من الأساس..

يعلم أنها على حق، لكنه لا يتخيل الموقف، في النهاية رضخ لطلبها، وها هو يعيش الجنون مستمتعًا به لأقصى درجة.. حتى باغتته بجنون آخر جعله يصرخ عندما وصلا للمكان المنشود:

- مستحيل يا رهف.. لا أنا ولا أنتِ..

عاندته بطفولية:

- ما تبقاش جبان!!

برقت عيناه بلمعة مخيفة:

- ده مش جبن، بس مش هاعرض حياتي أو حياتك للخطر عشان متعة؛ أنا حتى مش شايفها متعة..

اقتربت منه بدلال بدا غريبًا:

- عشان خاطري يا معاذ، جرب مش هتندم.. سيب نفسك تعيش، جرب إحساس الحرية والهوا بيلمسك من كل اتجاه.. مش هتندم.. الـ Bungy jump متعة مش هتندم عليها..

وتندر ساخرًا:

- مش ده لو لحقت أندم!!

ورفض، وعاندت.. ثم رفض، فتدللت، ورفض أخير تبعه إقناع منها ومن المجموعة المصاحبة لهما، اهتمام كامل وخاص بشروط الأمان والسلامة، فحص دوري للأدوات، ثم خاض التجربة.. شرطه الوحيد أن يكون قبلها..

فلو حدث ما يخشاه.. سيرحل هو، ولن يبقى بعدها وحيدًا..

وقفت تتأمله من فوق الحافة وهو يقفز بجرأة رغم رفضه للمبدأ، لمع الحب بين جفنيها وهو يمنحها قبلة فوق أنامله قبل السقوط، يتعالى صراخها الحماسي ممتزجًا بهتافه الذي كذبت أذنيها كأنها لم تسمعه:

- بااااااااحبببببببببك..

كادت تقفز خلفه دون أربطة، دمعة غافلت قلبها السعيد، وسباب لاحقت به روحها..

لقد نطقها يا غبية، وأنت فقط تبكين!!..

وكان هو يحتفظ بملامحها بين جفنيه المغلقين معانقًا الهواء بصدره وذراعيه المفتوحين.. وبسمة تغمر شفتيه..

ويعيش الجنون..

جنونها هي..

زوجته، حبيبته، صاحبة العسل..

****

"تتجوزيني!!"

وكان راكعًا على إحدى ركبتيه، بابتسامة عاشقة، يمسك كفها بين كفيه، يناشدها موافقة.. وقليل من "التسبيل المعاذي" لن يضر..

ظلت تتأمله لثوان بذهول، صدمة، وحب..

من حولهم بعد عودتها من القفزة يتأملون ببسمات سعيدة وتعالت الهتافات:

"Say yes.. say yes"

لا يفهمون ما ينطقه، لكن الموقف لا يحتمل تفسيرات مختلفة، وطرفت الأهداب بدموع.. أومات بموافقة ارتفعت على إثرها صافرات التشجيع لكنها علقت بابتسامة شقية اختلط بها عبث لطيف:

- بس اطلبني من بابا الأول..

اتسعت عيناه متخيلًا الموقف، قبل أن يضحك للحظات، ينهض واقفًا، يقبل جبينها، ويهمس لها:

- أمر مولاتي..

****

وبالطبع لن يحصل على ردٍ منطقي، بل ضحكات مجلجلة شبه ساخرة والأب يهتف:

- بتطلب مراتك مني يا معاذ؟!..

ورسم الجدية على وجهه:

- أيوة يا عمي..

ظهرت دهشة حقيقية على وجه الرجل، لابد أنه جنون آخر يخص ابنته، لكن هذا الشاب يسايرها فيه بطريقة زادت من إعجابه به.. ابتسم له بحنان:

- طيب ناخد رأي العروسة الأول؟!

أومأ "معاذ" برأسه متلهفًا:

- ماشي يا عمي.. ياريت دلوقتِ..

وكزه في كتفه بأبوة:

- من إمتى بتقولي يا عمي!!

ابتسم بتوقير:

- ما هو عشان حضرتك هتبقى حمايا يا عمي..

وضحكا سويًا.. وبسؤال العروس منحت موافقتها شرط خطبة يتعرفان فيها لبعضهما البعض، ولم يعترض العريس، بل تذلل لعمه أن يلبسها خاتمها في التو واللحظة فأرسله لغرفتها التي دخلها دون استئذان فلامته برقة:

- ما ينفعش تدخل أوضتي كده.. إحنا لسه هنتخطب.

رفع علبة مخملية صغيرة بين أنامله:

- أنا جاي ألبسك الشبكة.. يا عروستي.

شعرت بخجل لأول مرة، نظرته المختلفة.. لمسته الرقيقة.. والحب الذي يشع من حوله كهالة تحيطه، وتحيطها معه..

ابتسمت ومدت له يدها، أمسك بها، وضع خاتمه ببنصرها، ورفعها لشفتيه، يقبل أناملها واحدة تلو الأخرى ببطء، في النهاية ختم باطنها بدفء وعيناه سجينتا عسل عينيها، والهمس هنا حق وواجب، والاقتراب مشروع:

- مبروك..

واللمعة بين جفنيه هذه المرة.. والنبرة التي خرجت بها الكلمة من بين شفتيه، والقرب واللمسة وكل شيء.. جعلها تهمس له:

- بحبَك..

****

تسللت من جواره كعادتها، دلفت للمطبخ بهدوء، من خزانتها المحرم عليه الاقتراب منها التقطت وعاءً جديداً،

ويإصبعها بدأت تتلذذ بمحتواه حتى أضيئت الأنوار فجأة توازي صوته المستمتع:

- عسل!!.. برده في نص الليل؟!

التفتت إليه تعترف بذنب كمن ألقي عليه القبض بالجرم المشهود:

- ما هو أنا... أنت عارف إني بحبه..

اقترب منها، وكعادته هو الآخر في كل مرة يضبطها فيها تتناول العسل، أمسك بسبابتها، أدخلها في الوعاء واستمتع بمذاقه، ثم يجذبه من يدها.. وينتقل للمذاق الأفضل.. فوق شفتيها..

وتستسلم هي لغرق بين موجات عشقه..

خاتمة قصيرة المدى

- أنا قلت لأ يعني لأ يا رهف.. ما تخلينيش أتجنن عليك!!

- وأنا قلت مش هاركب عربيتك تاني يا معاذ.. وهنشوف بقى!!

- رهف!!

- معااااذ..

وضغطت الميم والعين ومطت الألف ودهست الذال..

برقت عيناه واتخذ من السخرية مسلكًا علَّها ترتجع:

- أنا مش فاهم هتسوقيها إزاي بكرشك كده!!

انتقل البريق لعسلها:

- كرش!!..

ودنت منه توخز صدره بإصبعها:

- كرشي ده أنت السبب فيه..

وتسخر هي الأخرى:

- مش ده ولي العهد يا سمو الملك..

يحيطها قبل أن تهرب من قربه، ينحني ويهمس.. يدلل ويتخابث متخذًا من المكر سبيلًا لإيقاف جنونها الموشك على الانفجار:

- أيوة يا مليكتي.. اعقلي بقى..

وتضعف لكن بقايا عناد تسيطر:

- وحشتْني قوي..

وتربت على دراجتها الضخمة بحنو، فيبتسم بحب:

- عارف، هانت.. كلها شهرين والبيه يشرف، ويعيش جنون مامته على أصوله.

رفعت عينيها إليه بسخط:

- أنا مجنونة؟!

لثم شفتيها برقة:

- أحلى مجنونة..

وما ذنبها إن كان قلبها الخائن وروحها الهائمة وعقلها الغائب فيه.. يخضعون له دون إرادتها!!..

استسلمت له، ربتت على جنينها بعطف..

والختام نظرة تمنح بها عينيها حق التيه في تفاصيل عينيه..

تمت بحمد الله

2016/4/11

صابرين الديب

حلم-هن